

جميع هذه الوسائل الاعلانية، تهدف إلى واحد: ربط هذا «الجمهور النظري»، بمجموع السكان. والمرتبجى، طبعاً، يكمن في تكوين هذا الجمهور، والمحافظة عليه. وهنا أهمية نوادي «الكتاب» التي تبقي جمهورها وتزيده، في خدمة الكتاب، فلا يستطيع القارىء، بعدها، التفلت.

وهو هكذا، الأمر في البلدان الموجهة، وخاصة الاشتراكية. ففي الاتحاد السوفياتي، مثلاً، لا يكثر «المرتبج»، لأن الناشر يؤقلم العرض مع الطلب والطلب مع العرض.

أما في البلدان الرأسمالية، فوضع الناشر أدق، لأن الأمر يفلت من يده فور خروج الكتاب إلى السوق. وعملية البيع تسيّرهما، تلقائياً، الأمور التجارية للمكتبة. (سنأتي على ذكرها، لاحقاً). عندها، يصير الكتاب مسيراً كما تلك الصواريخ الموجهة التي كان بعضها يقع قبل تناوله سيره، وبعضها الآخر يخرج عن مراقبة المسيرين «تحت» فيتخذ طريقاً تياهة. من هنا أن أكثرية الكتب المطبوعة (في فرنسا: 60 إلى 70٪ من الإنتاج) تسقط قبل أن تبلغ حجم المبيع الرابع، ولا يمكن الناشر أن يفعل شيئاً. بينما، على العكس، ثمة كتب تخطى التصورات المطروحة، بأشواط. ورقم المبيع، يتراوح حسب رقم وسط يعدّله الناشر (هو، في فرنسا، إجمالاً، 100 ألف نسخة). بعد هذا الرقم، لا يعود على الناشر إلا الإكثار من الإصدار دون هداية.

فقدان الضبط، في هذا، واضح، ويكون لدى تخطي الكتاب رقم «الجمهور النظري» المتوخى، إذ يسري هذا الكتاب في مناطق اجتماعية غير مرتقبة، ولا يمكن التكهن بردود فعل قرائها. فعملية النشر، هنا، ليست خلاقية، إلا ظاهراً فقط، لأنها تدور في حلقة مقفلة للمجموعة الاجتماعية نفسها، التي، خارجها، يسقط كل كتاب لا يتأقلم معها. ويحدث أن تقوم، في مجموعة غير مرتقبة، «خيانة إبداعية»، ليست، في أي حال، من عمل الناشر ولا بفضل.

وحتى النجاح، لا فضل فيه للناشر. ففي فرنسا، مثلاً، بين 100 ألف كتاب صادر من 1945 إلى 1955، ما سوى 1٪ تخطى رقم الـ 100 ألف نسخة. وليس